الإسلامُ عند چوته وتولستوي

بشير عبد الغني بركات

الإصدار الثاني

١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

بيت المقدس

بسم الله الرحمن الرحيم
مُقدِّمة

الحمدُ للهِ وحدَه، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَ بعده. وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، وصفيُّه من خَلقِه وخليلُه، من اتّبعَهُ فقد هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم، ومن عصاهُ واتبعَ هواهُ فقد ضَلَّ وغوى.

وبعد، فقد اعتنقَ عددٌ كبيرٌ من الغربيّين دين الإسلام في العقود الأخيرة، حيث اطمأنتْ نفوسُهم إليه وسكنتْ جوارحُهم فيه، ولا شكّ أن الأخلاقّ الحسنةَ التي يتحلّى بها خيارُ المسلمين الذين اتّخذوا من الغربِ مُستقرًّا لهم، إلى جانبِ مظاهر الصحوة الإسلامية واستغلالها لوسائل الإعلام الحديثة، قد لعبا دورًا رئيسًا في نشر الإسلام.

وفي المقابل ما زال بعضُ المحسوبين على الإسلامِ يعرِبون عن انبهارِهم وإعجابهم بسلبيات المدنية الغربية دون إيجابياتها. فكلما أفرزتْ ضربًا من ضروبها ذلّتْ أعناقُهم له خاضعين. ولذا رأيتُ لفتَ أنظارهم نحو موقفَيْن وقَفَهما عظيمان أوروبيّان من الإسلام في عصر غاصتْ فيه بلدان المسلمين في مستنقعاتِ الجهل والظلم والفساد، لكن نورَ الشريعة المحمدية اخترق قلبَيْهما، فصدَحَا بالحق.

لقد كان الشاعر الألماني العظيم چوته نموذجًا فريدًا لبعض مفكِّري أوروبا الغربية الذين اتخذوا موقفًا راشدًا من الإسلام في القرن التاسع عشر. وأُبيّن في هذا البحث بعضًا من قناعاته وآرائه.

ثم إنني أتبعت ذلك بموجزٍ عن موقفِ الفيلسوف والروائي الروسي الشهير تولستوي، كنموذجٍ لبعض المفكرين العادلين في أوروبا الشرقية، الذين حفظوا ذواتهم وصانوها عن الافتراء والحقد والضغينة.

وكَتبَهُ
بَشير بن عَبدِ الغني آل بَرَكات
حامِدًا للهِ تَعالى ومُصَلِّيًا على نَبيِّه
في بَيْتِ المَقْدِس
في ٣٠ ذي القعدة ١٤٤١هـ

چوته والإسلام

اهتم كثيرٌ من الأدباء العرب بالشاعر الألماني چوته في القرن العشرين. فقد ترجمَ جورج مطران أحدَ أعماله، وهو رواية "آلام ورثر"، من النص الفرنسي إلى اللغة العربية. ثم أعاد أحمد حسن الزيات ترجمتها مرة أخرى. وترجمَ محمد عوض "فاوست" من الأصل الألماني إلى اللغة العربية.

وصنَّف عباس محمود العقاد كتابًا عن چوته وألحق به قطعًا متناثرةً من روائعه. وصنَّف صِدّيق شيبوب كتيبًا بعنوان "چوته"، وصنّف عبد الرحمن صدقي كتيبًا آخر بعنوان "الشرق والغرب في أدب چوته".

الجماعة الاسلامية

سعتْ الجماعة الإسلامية في مدينة فايمار الألمانية إلى إعادة تسليط الأضواء مُجددًّا على علاقة چوته بالإسلام. وتتألف تلك الجماعة من بعض سكان فايمار الذين اعتنقوا الدين الإسلامي. وكانت تلك المدينة موطن چوته الثاني بعد فرانكفورت. وقد أصدرت الجماعة فتوى اعتبرتْ چوته مسلمًا وأطلقت عليه اسم "محمد".

ولو صحَّ ذلك فإنه لأمرٌ جديرٌ بالإهتمام حقًّا، حيث إن چوته يُعدُّ أعظم الشعراء الألمان، بل الأوروبيين على الإطلاق، وهو رمزٌ يفتخر به الشعب الألماني. لكن غالبية الأوروبيين لا يعرفون شيئًا عن موقفه من الإسلام. وربما يتحاشى بعضُهم مجرّدَ الحديث في هذا الموضوع، رَغم أنه قد يساهم بقوة في تقليص الفجوات بين الشرق والغرب، وفي تطوير علاقاتٍ بنّاءةٍ قد تعود بالخير على الطرفين.

إلا أنّ كونه مُسلماً أمرٌ فيه نظر، حيث إنه لم يعلِن ذلك بنصٍّ صريح، وهو لم يمارس شعائر الإسلام، ولا عُذرَ له في ذلك. ولذلك رأيتُ أن أترجم تلك الفتوى التي صدرتْ باللغتين الألمانية والإنجليزية، وأن أعرضها على بعض فقهاء بيت المقدس ليدْلوا برأيهم فيها. ونبدأ هذا البحث بعرض مجمل عن حياة الشاعر وموقفه من الأديان.

سيرة جوته[1]

هو يوهان فولفغانغ فون جوته Johann Wolfgang von Goethe (ت ١٨٣٢). وهو أعظم الشعراء الألمان على حد تعبير الموسوعة البريطانية. وُلد في فرانكفورت الواقعة على نهر ماين عام ١٧٤٩. وفي عام ١٧٦٥ انتقل إلى لايبستغ Leipzig لدراسة الحقوق بأمْرٍ من والده. وخلال إقامته فيها اكتسبَ القدرةَ على كتابةِ قصائد غنائية تناسب أذواق عِلية القوم في لايبتسغ آنذاك.

وفي عام ١٧٧٠ أصيبَ بمرضٍ مفاجئٍ طرحه في الفراش، فعاد إلى فرانكفورت قبل أن يتم دراسته. وفي تلك الأثناء عكف على دراسة الفلسفة والكيمياء والفلك، ومال إلى التصوّف الديني. وسرعان ما أرسله والده في العام نفسه إلى مدينة ستراسبورغ الفرنسية ليُتمّ دراسته، فتخرج عام ١٧٧١ من كلية الحقوق وعاد إلى بلده ومارس مهنة المحاماة.

وفي عام ١٧٧٥ انتقل إلى مدينة فايمار Weimar التي أصبحت مقرَّ إقامته الجديد. وكان عمله الرسمي جانبيًّا بالمقارنة مع نشاطاته وأعماله الأدبية والفكرية. وقد زار روما في عامَي ١٧٨٦ و ١٧٨٨. وبعد عودته إلى فايمار ارتبط بفتاة شابةٍ تدعى كريستيانه فولبيوس (1765-1816) وأنجبتْ له ولدًا عام ١٧٨٩سمّاهُ أوغوست، ولم يتزوّجها إلا في عام ١٨٠٦ خلال الغزو الفرنسي.

وقد اشتهر جوته بمغامراتِه مع النساء مدى حياته. حتى أنه عندما بلغ السبعين من عمره وقع في حبِّ فتاةٍ في السابعة عشرة من عمرها، وطلب الزواج منها، لكنها رفضت.

وقد خلّف جوته وراءه عشرات من المؤلفات الأدبية، وأهمّ ما يعنينا منها "الديوان الشرقي لمؤلّفه الغربي[2] West-Östliche Divan"، الذي استوحاه من الترجمة الألمانية لديوان الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي[3].

---

١ اقتبستُ هذا الملخص بتصرُّف عن الموسوعة البريطانية: Encyclopadia Britannica, Vol. 10, William Benton, Chicago, 1963, p-p 469-475

٢ تلك ترجمة غير دقيقة، ولكن جوته كتبها بتلك الحروف العربية، بنفسه، على غلاف الديوان.

٣ محمد شمس الدين الشيرازي (ت ٧٩١هـ/١٣٨٩م). أعظم شعراء فارس في القرن الثامن الهجري. اشتهر بالحافظ لحفظه القرآن الكريم.

موقفه من الأديان

كان چوته ملتزمًا بتعاليم الكنيسة في مبدأ أمْرِه في فرانكفورت. لكنه أعرض لاحِقًا عن الديانة المسيحية، وصرف عنايته نحو الفنون القديمة. ثم إنه تأثر بمبدأ لايبنيتس Leibnitz[١] حول القضاء والقدر والذي أوجد لدى چوته إيمانا بالمشيئة الإلهية في حياة الإنسان. وتأثر إلى حَدٍّ ما بمبدأ وَحْدَةِ الوجود بعد اطِّلاعه على فلسفة سبينوزا Spinoza[٢]. ولا ندري مدى إيمانه بوحدة الوجود، وهل آمنَ بها حتى وفاته، أم أنه تراجع عنها. لكن بعض نصوصه تشير إلى عدم التزامه بها كليًّا.

وقد آثرَ چوته أن يهجر الإضطرابات السياسية والفكرية في الغرب، فلجأ إلى الشرق وتراثه، ودرس الأدبَيْن العربي والفارسي. وأُعجب بشدّة بالقرآن الكريم، وتأثر بسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وبقصة يوسف عليه السلام، وغير ذلك من التراث والثقافة الإسلامية.

وكان چوته قد بَعَثَ وهو في الثانية والعشرين من عمره رسالة إلى أحد أصدقائه، قال له فيها: "إنني أودُّ أن أدعو الله كما دعاه موسى في القرآن: ربِّ اشرَحْ لي صدري"[٣]. وقد أبدى إعجابَه الشديد بالنبي إسماعيل عليه السلام، حيث رأى في مولده "تدبيرًا من العلي القدير"، وأن ملائكة الرحمة أنقذته من الذبح، لكي تكون لإسماعيل ذرية عظيمة تحقّق ما لا يمكن تصوّره، وبحيث تصبح ذرية إبراهيم بعدد نجوم السماء[٤].

---

١ غوتفريد فيلهيلم فون ليبنيتس (١٦٤٦-١٧١٦) فيلسوف ومؤرخ وحقوقي وجيولوجي ورياضي ألماني.

٢ باروخ سبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧) فيلسوف يهودي هولندي من أصل برتغالي. نادى بمذهب وحدة الوجود في أوروبا، فتأثّرَ به كثيرٌ من فلاسفتها في عصر التنوير. ويزعم أصحاب هذا المبدأ أن لا فرق بين الخالق والمخلوق، فكلاهما واحد. وقد طردته الجماعة اليهودية في أمستردام من صفوفها بسبب ذلك. ولا نعرف عمّن اقتبس سبينوزا هذا المذهب، ولعله وصل إليه عبر الأجيال من بعض متصوفة الأندلس، أمثال ابن عربي وابن بَرَّجان، وابن قَسِي الذي كان يقيم في مدينة شلب التي تقع في البرتغال اليوم.

٣ كاترينا مومزن، ص ٥١.

٤ كاترينا مومزن، ص ٥٢.

ويشار إلى أنّ الموسوعة البريطانية لم تتطرَّق إلى موقفِ جوته من الإسلام على الإطلاق، سوى أنها ذكرتْ أن مِن بين أعماله التي لم يُتمّها "محمد Mahomet"[1].

وكذلك فإن صديق شيبوب لم يتطرَّق إلى علاقة جوته بالإسلام، سوى ما ذكرَه ضِمن حوارٍ دار بين جوته ونابليون عندما حلَّ الأخير في بيتِ جوته خلال الاحتلال الفرنسي لبروسيا، حيث ذَكرَ أحدُ الحاضرين أن جوته ترجم مسرحية "محمد" لفولتير[2] إلى الألمانية، وأنّ نابليون قال إنها ليست بذات أهمية[3].

وإذا علمنا أن اهتمام جوته بالإسلام لا يخفى على أيّ باحثٍ اطلع على سيرة ذلك الشاعر الألماني، وأنه لعب دورًا حاسمًا في حياته وأدبه، فمن العجيب أن يصنِّفَ كاتبٌ عربيٌّ مُصنّفًا عن جوته ولا يتطرَّق إلى علاقتِه بالإسلام.

أمّا عبد الرحمن صدقي فقد جعل ذلك الأمر مِحورَ كتابه "الشرق والغرب في أدب جوته". وممّا ذكرَهُ عن اهتمام جوته بالأديان أنه تعلم اللغة العبرية في الفترة ١٧٦٢-١٧٦٥ بهدف دراسة التوراة المعاصرة. وفي عام ١٧٧٢ قرأ ترجمة ألمانية للقرآن العظيم ،ثم قرأ ترجمة لاتينية سابقة عليها.

ومن الأمثلة التي ذكرها صدقي على تأثر جوته بالقرآن الكريم قوله في الديوان الشرقي: "لله المشرق ولله المغرب، وفي راحتيه الشمال والجنوب جميعًا. هو الحق، وما يشاء بعباده فهو الحق، سبحانه له الأسماء الحسنى، وتبارك اسمه الحق، وتعالى علوا كبيرا". وقوله أيضا: "لِمَ لا اصطنع من التشابيه ما أشاء، والله لا يستحي أن يضرب مثلا للحياة بعوضة".

---

١ راجع الموسوعة البريطانية:
Encyclopadia Britannica, Vol. 10, William Benton, Chicago, 1963, p-p 469-475

٢ أحد فلاسفة الثورة الفرنسية. اشتهر بحقدِه على الاسلام. وضع مسرحية عام ١٧٤٢م أساء فيها بشدّة لنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم. ويشار إلى أن جوته، وهو طالب جامعي، منع شقيقتَهُ من المشاركة في عرض تلك المسرحية. أنظر كاترينا مومزن، ص ٥١.

٣ صديق شيبوب، جوته، ص ٧٤.

وذكر صدقي أن چوته بدأ في عام ١٧٧٣ بتأليف تمثيلية عن محمد صلى الله عليه وسلم كان عنوان الفصل الأول منها "مناجاة محمد"[١] حيث صوّر النبي الكريم- وهو فتى- قد خلا بنفسه بالليل بعيدًا في البادية تحت سماء صافية. واعتمد چوته في المناجاة على مضمون هذه الآيات من سورة الأنعام: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ". وختم چوته مناجاةَ النبي صلى الله عليه وسلم، بقوله:

فارتفع أيها القلبُ العامر بالحبِّ نحو الخالق
إنك وحدك مولاي يا رب
إنك الحب المحيط بكل شيء
خالق الشمس والقمر والكواكب
خالق السماء والأرض وخالق نفسي

وبعد ذلك أدار چوته حوارًا بين محمد صلى الله عليه وسلم ومرضعتِه حليمة السعدية:

محمد: (يرى شبح حليمة مقبلة)... حليمة! أكان لا بد من قدومها في هذه الساعة العامرة بالسعادة! (مخاطبًا حليمة) ماذا تريدين مني يا حليمة؟
حليمة: لا تقلقني هكذا يا بني الحبيب، إني أبحث عنك منذ غروب الشمس. لا تعرض شبابك الغض لأهوال الليل ومخاطره.

١ عبد الرحمن صدقي، ص ٣٦-٣٨.

محمد: سيان عند الأشرار ليل أو نهار. إن الرذيلة وحدها تجر إلى التهلكة، كما يستجلب الضفدع سم الأفعى. وقد يكون الصبا كالتعويذة النافعة تحت هذه السماء الرائعة.
حليمة: تظل وحدك هكذا طوال الليل، بعيدا في هذه البادية التي يعبث بها الذؤبان وقطاع الطرق.
محمد: لست وحدي. إن الله ربي يؤنس وحدتي.
حليمة: أرأيته؟
محمد: ألا ترينه؟ عند كل عين جارية، وتحت كل شجرة مزهرة، أراه بعين البصيرة مقبلا علي، وأحس حرارة عطفه وحبه. ما أعظم عرفاني لفضله وتسبيحي بحمده! لقد فتح صدري وانتزع عنه الشغف حتى أحس قربه في الصميم من قلبي.
حليمة: إنك حالم واهم! فكيف يمكن أن تكون حيا بعد أن يفتح صدرك؟
محمد: سأدعو الله حتى يلهمك أن تفهميني.
حليمة: ومن هو ربك؟ أهو هبل أم العزى؟
محمد: يا للقوم المناكيد! إنك تتوجهين إلى الحجر بحبك! إنك تطلبين من الصلصال أن يحميك! هذه الأرباب ليس لها أذن تسمع الدعاء، ولا قدرة على تلبية النداء.
حليمة: إن الحجر يعمره عامر، والصلصال يحوم حوله حائم، وإنه ليسمعني وهو قادر عظيم.
محمد: ماذا يمكن أن تكون قدرته وثمة ثلاثمائة مثله؟
حليمة: أليس مثل ربك أحد؟
محمد: إذا كان للرب كفوا، أيكون بعدها ربا؟
حليمة: في أي مكان يحل؟
محمد: في كل مكان.
حليمة: سيان هذا، والقول أنه غير ذي مكان. فكيف إذن تدركه؟
محمد: اللهم أبتهل إليك أن تنقذ البشر من ضلالهم، فهم أجمعون إليك يا رب راغبون وإلى وجهك الكريم متطلعون.

ونَقل عبد الرحمن صدقي عن چوته قولَه في كتاب الخلد من الديوان الشرقي:

"ليندُبَ الأعداءُ قتلاهم، فإنهم من الهالكين. أما الشهداء من إخواننا فلا تندبوهم فإنهم أحياء في أعلى عليين ... لقد فَتَحَت السموات السبع أبوابها لهم أجمعين. وهم أولاء يقرعون أبواب الجنة يدخلونها بسلام آمنين. وقد أخذ منهم العجب، وغلبت عليهم نشوة الطرب، إذ يجتلون من مجالي الجمال والجلال ومطالع السنا والبهاء، ما اكتحلت به عين النبي في ليلة الإسراء، إذ أقله البراق إلى السماء، وطاف به السبع الطباق في لحظة خاطفة... وفي هذه الجنة جنة النعيم تقبل على أجنحة النسيم أسراب الحور العين. فانعم أيها المجاهد الشهيد بالنظر إليهن... إن المال فان والجاه زائل، ولا يبقى إلا طعنة كهذه لقيها المؤمن في سبيل الله... وتذهب بك الحور العين إلى خمائل بالكروم معروشة... وهن أبكار أتراب جميعهن، لا تفاضل في روعة الحسن ونضرة اللون بينهن... فانعم بهذا الصفو الذي لا كفاء له ولا عوض منه، بين أسراب من الحور العين لا يضجر معاشرها، وأكواب من الرحيق المختوم لا يسكر معاقرها"[١].

ويبدو أن عبد الرحمن صدقي كان يميل إلى اعتبار چوته مسلمًا، لكنه تردَّدَ في التصريح بذلك. فقد اختتَمَ كتابه بمقطوعة عبَّر فيها چوته عن أمله بدخول جنة المسلمين، وهي حوار دار بينه وبين حورية من الجنة:

الحورية: اليوم أنا الموكلة بباب النعيم، ولا أدري ما العمل وأنت عندي ظنين، أتراك حقا من معشر المسلمين؟... وهل استحققت دخول الجنة على جهادك؟ أحقا أنت من المجاهدين؟ فاكشف إذن عن جراحك، لتشهد جراحك بما قدمت من المآثر إن كنت من الصادقين. فإني لأحب لك الدخول.

الشاعر: فيم هذه المراسم كلها؟ دعيني أدخل الجنة على كل حال. لقد عشت رجلا، أي أنني كنت من المجاهدين. ألا حددي طرفك، وأمعني النظر في فؤادي، اشهدي ما به من جراح الحياة المؤلمة، اشهدي ما به من جراح الحب المستعذبة. ومع هذا فما برحت مؤمنا أتغنى بوفاء حبيبتي الهاجرة، وبمودة الدنيا الدائرة وقضائها في الآخرة حق المحسنين. لقد

---

١ عبد الرحمن صدقي، ص ١٤١-١٤٢.

عملت مع صفوة العاملين، وجاهدت مع خيرة المجاهدين، وتألق اسمي- بحروف مشبوبة الأنوار- في قلوب الصالحين الأبرار[١].

وفي عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، كتب "مانْفْرِدْ أوسْتِن" مقالةً في صحيفة "نويه تسوريشر تسايتونغ" السويسرية بعنوان "هل كان چوته مُسلمًا؟". ولم يتمكّنْ الكاتبُ من الإجابة على هذا التساؤل. وعلّقتْ البروفيسورة القديرة "كاترينا مومزن" على ذلك قائلة: "حقًّا هناك أكثر من دليل يشهدُ على أن چوته لم يكن مسلمًا. إلا أننا مع ذلك نعثر لديه على عباراتٍ وسلوكيات كثيرة تُبيِّنُ أنّ چوته كثيرًا ما كان ينسبُ نفسه إلى دين الاسلام"[٢].

أنشودة محمد

تُعدُّ "أنشودة محمد Mahomets Gesang" من أهمّ الأدلة التي تشير إلى إيمان الشاعر چوته بنبوَّة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يُشبِّهُ چوته رسولَنا الكريم بماءِ الغمام الذي ينزل من السماء ليتكوّن منه ينبوعًا يقود الينابيع الأخرى معه، كناية عن الأنبياء الذين سبقوه، نحو إحياء الأرض ونشر الإسلام فيها. وفيما يلي ترجمة هذه الأنشودة[٣]:

أنظروا إلى النبع بين الصخور،
ناصعًا مبتهجًا،
كمنظر النجوم!

فوق الغيوم...
غذَّت شبابه أرواحٌ طيبة
بين الصخور في الغابة

١ عبد الرحمن صدقي، ص ١٧٥.
٢ كاترينا مومزن، ص ٥٢.
٣ ترجمتُ هذه القصيدة ونشرتُها بهذا النص في جريدة القدس بتاريخ ٢٠٠١/٣/٢٥م. ثم تبيّن لي أن عبد الرحمن صدقي قد ترجَمَها إلى العربية قبل ذلك.

بنضارة الشباب
يخرج راقصا من السحابة
ويهطل على صخور المرمر،
ويهتف مرة أخرى نحو السماء.

وعبر الممرات بين قمم الجبال
يطارد الحصى الملونة،
ومع خطوة القائد المبكرة
يجترف معه إخوته الينابيع.

وفي الأسفل... في الوادي
تنمو الأزهار عند موطئ قدمه
والمرج يحيا بأنفاسه.

ولكن لا شيء يمنعه من الجريان
لا الوادي الظليل
ولا الأزهار...
التي تعانق رُكبته
وتغازله بعيون الحب:
فمجراه يؤدي إلى السهل... بطريق متعرجة.

وتلتصق به الجداول وتتودد إليه.
والآن يتقدم في السهل زاهيا كالفضة
ويزهو السهل معه،
والأنهار التي في السهل
والجداول التي في الجبال
تبتهج به وتنادي: أخانا... أخانا
خذ الأخوة معك، إلى أبيك القديم
إلى المحيط الخالد
الذي ينتظرنا بذراعين مفتوحتين...

لكنها تُفتح، آه، بلا جدوى
لاستقبال المشتاقين إليه:
إذ أن الرمل الشَّرِه
في الصحراء القاحلة
يلتهمنا،
والشمس هناك تمتص دماءنا،
وثمة تل يحول بيننا وبين المحيط.
أخانا
خذ الأخوة من السهل
خذ الأخوة من الجبال
معك إلى أبيك.

هلموا جميعا...
والآن يتجلى في هيبته
قبيلة بأكملها ترفع الأمير في العلياء
ومن خلال النصر المبين
يمنح البلاد أسماء
وتخضع المدن تحت قدميه.

ويتواصل هديره بلا انقطاع،
حتى يترك وراءه قمما من اللهب على الأبراج
وبيوتًا من المرمر... تنتج عن غزارته.
يحمل الأطلس على أكتافه الضخمة بيوتًا من الأرز،
وفي الهواء يرفرف ألف علم ويُصَفِّر على رأسه،
إنهم شهود على عظمته.

وهكذا يحمل معه إخوته وكنوزه وأبناءه
بقلب يخفق فرحا
إلى الأب المنتظِر،
ويثير في القلب بهجة.

فتوى الشيخ عبد القادر المرابط[1]

فيما يلي ترجمةٌ لفتوى صدرت عن الجماعة الإسلامية في مدينة فايمار الألمانية باللغتين الإنجليزية والألمانية في عامَي ١٩٩٥ و ١٩٩٦م، حيث نقلتُها إلى العربية، وحاولتُ الجمع بين النصين الألماني والإنجليزي، حيث توجد فوارق ضئيلة بينهما:

فتوى حول الاعتراف بچوته كمسلم
بقلم الشيخ عبد القادر المرابط
فايمار، ١٩ كانون أول ١٩٩٥م

الأدلة

چوته والمسيحية

لقد قال چوته في آواخر حياته: "هناك الكثير من الهراء في تعاليم الكنيسة" (وذلك ضمن حوار دار بينه وبين إكرمان Eckermann[2] في ١١-٠٣-١٨٣٢).

وفي الديوان الشرقي لمؤلفه الغربي[3] West-Östliche Divan يؤكِّد چوته على قيمة اللحظات الحالية الثمينة، بدلًا من موقف الكنيسة الداعي إلى انتظار الحياة الآخرة، وبالتالي احتقار كل شيء يمنحه الله للإنسان في أي لحظة من عمره.

ويرفض چوته صورة المسيح كما تعرضها النصرانية، ويؤكِّد على وحدانية الله في قصيدة من ديوان West-Östliche Divan، قال فيها:

---

١ وهو بريطاني، اسمه السابق إيان دالاس Ian Dallas، كان كاتبًا وممثلًا، اعتنَقَ الإسلام عام ١٩٦٧م، وأسّسَ جماعةً صوفيةً في بريطانيا.

٢ يوهان بيتر إكرمان (١٧٩٢-١٨٥٤) كاتب ألماني. أشهر أعماله "أحاديث مع چوته".

٣ طبعَهُ چوته في صورته النهائية عام ١٨١٩. وقد قال چوته في الديوان نفسه: "... إنني قد طبعت في ذهني كتبنا المقدسة بنصها وحرفها كما انطبعت أسارير السيد المسيح على صفحة المنديل الذي مسحت إحدى الصالحات به وجهه في طريق مجلجلة". أنظر عبد الرحمن صدقي، ص ١٢٤.

شَعَر عيسى بالنقاء وتفكر بهدوء
في الإله الواحد.
لقد جرح إرادَته[1] المقدسة كلُ من عمل منه إلها
ولذلك لا بد من إظهار الحقيقة
وهذا ما أنجزه محمد؛
فقط بعبارة "الواحد"
أخضع العالم كله

وبالإضافة إلى عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم يذكر چوته في الأبيات التالية أن إبراهيم وموسى وداود عليهم السلام كانوا أيضا من الموحدين. ومن الحقائق الثابتة أن چوته كان يبغض شعار الصليب بشدة. وقد كتب يقول:

والآن تأتي ومعك شعار،
ذلك الذي أبغضه أشد البغض من بين كل الشعارات.
كل تلك الحماقة الحديثة
تريد أن ترسلها إلي في شيراز!
هل ينبغي علي، رغم جموده، أن أتغنى بعود يقاطع عودا؟

بل وبعبارة أشد:

وتريد أن تجعلها لي إلها، تلك الصورة من البؤس على قطعة خشب

وصرح چوته في كتاب Wilhelm Meisters Wanderjahre[2] قائلا إنها: "وقاحة ملعونة... أن يُلعب بتلك الأسرار العميقة التي يختبئ

[1] أي إرادة عيسى عليه السلام.
[2] Buch 2, Kap. 2

فيها عمق المعاناة الإلهية"، فبدلًا من ذلك ينبغي على المرء: "أن يُسدل الستار على تلك المعاناة".

وأخيرًا، يصفُ جوته في قصيدة "النائمون السبعة" من ديوانه West-Östliche Divan المسيحَ بأنه نبي: "منذ سنوات عديدة تحترم إيفيسوس[1] تعاليم النبي عيسى [عليه السلام]"[2].

التصوُّف وممارسة الذِّكر

لقد أُعجب جوته أيضا بمجاز الشاعر الفارسي "سعدي" الذي يشبِّه الصوفي بـ "البعوضة العاشقة" التي تطير نحو الضوء القاتل لتهلك فيه. راجع بهذا الشأن خاصة قصيدته التي نشرها في ديوان "الحنين المبارك Sehlige Sehnsucht" حول الفراشة التي تطير نحو الضوء. وقد أطلق على تلك القصيدة اسمان وهما "التضحية بالذات Selbstopfer" و "الكمال Vollendung".

وفي الفصل الذي وردَ في الديوان حول جلال الدين الرومي وصَفَ جوته دعاء الله وبركته فقال: "إن ما يُسمَّى بالإكليل الوردي المحمدي، والذي يتم تعظيم اسم الله فيه بتسع وتسعين صفة، لَهُوَ ابتهالٌ جديرٌ بالثناء. إن كلا من الصفات المؤكِّدة والنافية تدلُّ على كائنٍ يستحيل إدراكه؛ فيُصاب العابد بالدهشة، ثم يستسلم ويستريح"[3].

جوته والإسلام

عندما كان جوته شابًا أراد أن يلتحق بقسم الدراسات العربية، ولكن والده أصرَّ عليه أن يدرُس الحقوق؛ فقد أُعجب جوته مدى حياته بالرحالة الأوائل الذين زاروا المنطقة العربية (أمثال Michaelis و Niebuhr)، وقرأ بشغف كل ما نشروه حول رحلاتهم.

وعندما ألَّف ديوانه في عامي ١٨١٤ و ١٨١٥، تمرن جوته على القراءة والكتابة بالعربية بمساعدة أساتذة الإستشراق Paulis و Lorsbach و Kosegarten (الذي ينتمي إلى بلدة Jena). فبعد أن اطَّلع

١ Ephesus مدينة إغريقية في آسيا الصغرى.
٢ WA I 6, 269. تشير WA على ما يبدو إلى مرجع رئيسي اعتُمد في وضع الفتوى.
٣ WA I 7, 59

علـى مخطوطـاتٍ عربيـة وعَلِمَ بوجـود القرآن الكـريم، شَعر بشَوقٍ كبيرٍ لتعلُّم العربية. وقد نسخَ أدعيةً باللغة العربية بنفسه، وكتب يقول: "ربّما لا توجد لغـة أخـرى تتجسـد فيهـا الـروح والكلمـة والخـط بهـذه الطريقـة الابتدائية"[1].

وفي سِنِّ السبعين كتب جوته[2] يقول إنه كان يعتزم: "أن يحتفل بمنتهى الرهبة بتلك الليلة التي اكتمل فيها نزول القرآن من الأعلى إلى الرسول [صلى الله عليه وسلم]". وكتب أيضًا: "لا يجوز لأيِّ أحدٍ أن يتعجَّب من قوة التأثير الكبرى في الكتاب. ولهذا السبب أيضًا فإن العابدين حقًّا يُصرِّحون بأنه غير مخلوق وبأنه خالدٌ مع الله". وأضاف إلى ذلك: "إن هذا الكتاب سيبقى حقًّا عظيم الأثر أبد الدهر"[3].

وحتى اليوم ما زالت لدينا المخطوطات التي كتبها بنفسه خلال دراساته القرآنية الأولى المكثفة في عامي ١٧٧١ و ١٧٧٢، إضافة إلى دراسات أخرى موجودة في أرشيف جوته وشيلر Schiller[4] في مدينة فايمار. وقد تلا جوته الترجمة الألمانية للقرآن التي أعدها J. Hammer (وربما أيضا الترجمة الإنجليزية الأكثر واقعية التي قام بها G. Sale) على مسامع أعضاء عائلة دوق فايمار وضيوفهم. وقد تحدّث Schiller وزوجتُه عن تلك التلاوات التي شهداها[5].

وقد كان جوته يشعر دائمًا بوجود نقائص في ترجمات القرآن اللاتينية والإنجليزية والألمانية والفرنسية كافّة. وكان يبحث باستمرار عن ترجمات أخرى. وقال في ديوانه:

عما إذا كان القرآن خالدا؟
أنا لا أسأل عن ذلك!...
أما أنه كتاب الكتب

---

١ رسالة إلى Schlosser في ٢٣-٠١-١٨١٥ ، WA I 7, 165

٢ ملاحظات ومقالات حول: WA I 7, 153 \ West-oestliche Divan

٣ WA I 7, 35-36

٤ يوهان كريستوف فريدريش فون شيلر (١٧٥٩-١٨٠٥) كاتب وشاعر ألماني، يعد ثاني أعظم الشعراء الألمان بعد صَديقِه جوته.

٥ رسالة Schiller إلى Knebel في ٢٢-٠٢-١٨١٥.

فإنني أؤمن بذلك كواجب على المسلم[1]

وقد قرأ كتبًا مرجعية وقواعدية وكتبًا حول رحلات، وأشعارًا، ومختارات، وكتبًا حول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وتناول تلك الموضوعات بتوسع مع مستشرقين من أرجاء ألمانيا كافّة. وقد أعجِبَ چوته بالترجمة الألمانية لديوان حافظ (في أيار ١٨١٤) ودرس الترجمات المختلفة للقرآن في عصره. وقد ألْهم ذلك كله چوته لتأليف ديوانه الخاص West-Östliche Divan ، والذي ضم بدوره قصائد كثيرة مستوحاة بوضوح من القرآن وتستند إلى آيات مختلفة منه[2].

واشترى چوته مخطوطات عربية قديمة للرومي[3] وجامع وحافظ[4] وسعدي[5] والعطار[6] وتفسير القرآن، وأدعية مختلفة، وقاموسًا عربيًّا-تركيًّا، ونصوصًا حول موضوعات تحرير الرقاب والشراء والبيع والفائدة والرِّبا، ومخطوطات أصلية كُتِبَتْ بيد السلطان سليم.

وكان چوته لا يَعُدُّ من قبيل الصدفة المحضة، لكن عدَّها حوادث مهمّة، بل وجزءًا من قدَرِه وإشارات من الله تعالى، أنْ:

- أَحْضَر له في خريف ١٨١٣ جنديٌّ عائدٌ من إسبانيا مخطوطةً عربية قديمة، تحتوي على السورة الأخيرة من القرآن (سورة الناس). وحاول چوته لاحقًا نسخها بيده بمساعدة أساتذة من Jena، ساعدوه أيضا في التعرف على محتوى المخطوطة.

- حضر في كانون ثاني ١٨١٤ صلاة جمعة أقامها مسلمون بشكيريون[7] من جيش القيصر الروسي الإسكندر في المدرسة الثانوية البروتستانتية في فايمار. وكتب في رسالة بعثها إلى Trebra في ٠٥-

---

١ WA I 6, 203

٢ Mommsen, p. 269-274

٣ وهو جلال الدين الرومي (ت ١٢٧٣/٦٧٢).

٤ وهو حافظ الشيرازي (ت ١٣٨٨/٧٩١).

٥ وهو سعدي الشيرازي (ت ١٢٩٣/٦٩٢).

٦ فريد الدين العطار (ت ١٢٣٠/٦٢٧).

٧ بشكيريا ولاية إسلامية تبلغ مساحتها ١٤٣ ألف كم مربع. احتلها الروس عام ٩٦٥ هجرية، وكان فيها آنذاك ١٥٥٥ مسجدا، وتقع حاليا وسط روسيا إلى الشرق من موسكو، وتتمتع بحكم ذاتي.

١٨١٤-٠١[1]: "بما أنني أتحدث عن النبوءات، يجب علي أن أشير إلى أن هناك أشياء تحدث في أيامنا هذه، لم يكن ليؤْذَن لأي نبي أن ينطق بها. مَن كان سيُسمح له قبل بضع سنين أن يقول أنه ستقام صلاة محمدية وسيُتمتَم بسور القرآن في قاعة التدريس في معهدنا البروتستانتي؟ وقد حدث ذلك بالفعل وحضرنا صلاة البشكير وشاهدنا إمامهم ورحبنا بأميرهم في المسرح. ولمكانة رفيعة أُهدي إلي قوس وسهام، سأقوم بتعليقها فوق مدفأتي كتذكار أبَدي حالما يأذن الله لهؤلاء الضيوف الأعزاء بعودة سعيدة". وفي رسالة بعث بها في ١٧-٠١-١٨١٤[2] إلى ولده August أضاف: "لقد طلبَ العديد من سيداتنا المتدينات ترجمة للقرآن".

ولقد تجاوز موقف چوته الإيجابي من الإسلام أولئك الذين سبقوه في ألمانيا كافّة، حيث إنه نشر في ٢٤/ ١٨١٦/٠٢م الجملة التالية: "إن الشاعر [يقصد نفسه]... لا يرفض الشبهة بأنه هو نفسه مسلم"[3].

وقال چوته في قصيدة أخرى من ديوانه:

من الغباء أن كل شخص في دنياه
يمتدح رأيه الخاص!
إذا كان الإسلام يعني الخضوع لله،
فإننا جميعا نحيا ونموت في الإسلام[4]

وإضافة إلى افتتان الشاعر چوته بلغة القرآن وجمالها وجلالها، فقد شعر بجاذبية كبيرة نحو قيمته الدينية والفلسفية: وحدة الله. ويعدُّ الإعتقاد بأن الله يتجلى في الطبيعة والمخلوقات من الموضوعات الرئيسية في

---

١ WA IV 24, 91
٢ WA IV 24, 100
٣ WA I 41, 86
٤ WA I 6, 128
وقد نشر عبد الرحمن صدقي ترجمة لذلك المقطع في الصفحة ٣٥ من كتابه، كما يلي:
"من حماقة الإنسان في دنياه
أن يتعصب كل منا لما يراه
وإذا كان الإسلام معناه أن لله التسليم
فإننا أجمعين، نحيا ونموت مسلمين".

أعمال جوته. وخلال دراساته الأولى المكثفة للقرآن العظيم في عامَي ١٧٧١ و ١٧٧٢م نسخ جوته وأدخل تعديلات جزئية على أول ترجمة مباشرة للقرآن من العربية إلى الألمانية. وقد دوَّن جوته آيات مختلفة من القرآن ترشد الإنسان إلى كيفية تدبر الطبيعة بكافة مظاهرها: تعدد المظاهر يشير إلى الإله الواحد. إن الإستناد إلى الطبيعة، كما يعرضه القرآن، إضافة إلى التعاليم النابعة من لطف الله ووحدانيته، والتي تعرَّف جوته عليها من خلال آيات السورة الثانية من القرآن (البقرة)، أصبحت الأركان الرئيسة التي قام عليها استلطافه وميله نحو القرآن. وقال جوته أنه ينبغي علينا أن ندرك "عظمة الله في الصغير" وأشار بهذا الخصوص إلى الآية رقم ٢٥ من سورة البقرة، والتي ضربت البعوضة مثلا.

وقد تأثر جوته بشدة بحقيقة أن الله يخاطب البشر من خلال الأنبياء؛ ولذلك اعترف بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم: ففي رسالة بعث بها إلى بلومنتال A. O. Blumenthal في ٢٨-٠٥-١٨١٩ كتب جوته (مشيرا إلى الآية ٤ من سورة إبراهيم): "فالحق إذن ما قاله الله في القرآن: ما أرسلنا رسولا إلى قوم إلا بلغتهم"[١]. وبالإشارة إلى الآية ذاتها كرَّر جوته في رسالة إلى كارليل Carlyle[٢] ذلك المعنى فقال: "يقول القرآن: لقد أرسل الله إلى كل قوم رسولا بلغتهم الخاصة"[٣]، وكذلك فقد كرر جوته تلك النظرة مرة أخرى في مقالة كتبها في مجلة German Romance، المجلد الرابع- أدنبره ١٨٢٧[٤].

وأكّدَ جوته ردَّهُ على الكفار الذين تحدَّوا النبي صلى الله عليه وسلم بأن يريهم معجزات، حيث قال: "قال الرسول لا أستطيع الإتيان بالمعجزات، فالمعجزة الكبرى هي أنني موجود"[٥].

وفي مصنَّف "محمد Mahomet" كتب جوته المديح الشهير "نشيد محمد Mahomets Gesang". وفيه يُشبِّهُ جوته النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالنهر العظيم الذي يبدأ كسَيلٍ صغير ثم يتمدَّدُ عَرضًا، ويتسع شيئًا

---

١ WA IV 31, 160، الآية: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه".

٢ توماس كارليل (١٧٩٥-١٨٨١) مؤرخ وفيلسوف اسكوتلندي.

٣ WA IV 42, 270

٤ WA I 4, 307

٥ WA I 6, 476

فشيئًا إلى أن يصبح قوة روحانية هائلة، ثم يصبُّ أخيرًا بعظمته في المحيط، رمزًا للألوهية. وهو يصِف الروح الديني الحارس، مَثَله مثل النهر العظيم، كيف يحمل معه الأناس الآخرين، مَثلهم مثل الجداول والأنهار، على طريقه نحو البحر. وكتب جوته بخط يده في الملحق الثالث ص ٣١ لديوانه في ٢٧-٠١-١٨١٦ يقول: "زعيم الخلائق محمد"[١].

وهناك عنصرٌ مهمٌّ آخر في الإسلام، وهو التأكيد على الأعمال الصالحة. وقد أُعجب جوته بشكل خاص بالصدقة التي يعطيها المسلم. وفي قصائد عديدة من ديوانه "كتاب الأمثال" Buch der Sprueche يصف جوته "لذة الإعطاء" ويقول: "أنظر إليها بشكل صحيح وستعطي دائمًا"[٢]. وأُعجب جوته بأن هذا العمل لا يكافأ لاحِقًا فحسب، بل إن بركاته تظهر في الدنيا أيضًا.

وقد عُرِفَ عن جوته أيضًا رَفضه القاطع لمفهوم الصُدفة: "إن الذي لا يدركه ولا يستطيع أن يدركه الناس في أعمالهم، والذي يتجلى في غاية الوضوح، وفي الحال الذي تظهر عظمته بأبهى ما تكون، فهو ذلك الذي يسمونه (الصدفة) فيما بعد، إن ذلك هو [فعل] الله بالضبط، فهو الذي يتدخل هنا بقدرته مباشرة ويُعظِّم ذاته من خلال أبسط الأمور"[٣].

إن إيمان جوته الراسخ بقَدر الله (أنظر على سبيل المثال محادثته مع المستشار Mueller في ١٢-٠٨-١٨٢٧[٤])، وبيت الشعر الشهير الذي قاله في ديوانه: "لو شاء الله[٥] أن أكون دودة لخلقني دودة"[٦]، وكذلك قوله: "إن الرموز (الإستعارات المستخدمة في الديوان) تمثل الهداية والعناية الإلهية الرائعة النابعة من قدَر الله الذي لا يمكن استكشافه أو تصوره، وهي تعلِّم وتؤكد على الإسلام الحقيقي والخضوع المطلق لمشيئة الله والإعتقاد بأنه لا يستطيع أي أحد أن يحيد عن المقدور له"[٧]، كل ذلك أدى إلى موقفه الشخصي من الخضوع لمشيئة الله، أي أن جوته اعتبرها أمرًا

---

١ WA I 6, 482

٢ WA I 6, 70

٣ محادثة مع Riemer، تشرين ثاني ١٨٠٧.

٤ WA I 42, 212- WA I 32, 57

٥ كتبها بلفظ Allah.

٦ WA I 6, 113 الديوان الشرقي- كتاب السخط.

٧ WA I 7, 151

يجب أن يتقبله شاكرا، لا أن يحتج عليه. وهناك أمثلة شهيرة على ذلك في أعماله الأدبية مثل "Egmont", "Dichtung und Wahrheit", "Unworte Orphisch", "Wilhelm Meisters Wanderjahre" إلخ.

ومن الأمثلة المؤثرة جدًّا في حياته الخاصة، ردُّ فعله إزاء رحلته الثالثة إلى Marianne von Willemer في تموز ١٨١٦، والتي كان يعتزم الزواج منها بعد وفاة زوجته المحبوبة Christiane، حيث أُصيب بحسرة شديدة بعد فقدانها، لكن الرحلة انقطعت فجأة بُعيد الإنطلاق بسبب انكسار محور العربة. وقد اعتبر جوته ذلك الحادث إشارة قدرية صريحة، فتراجع فورًا عن نيته الأصلية وامتنع بالفعل نهائيًّا عن رؤية Marianne von Willemer. وكتب جوته بعد ذلك: " ولذلك يجب علينا أن نستمسك بالإسلام (وهذا يعني: الخضوع التام لمشيئة الله) ..."[١]. وفي قول مشابِه كَتبَ في رسالة إلى Zelter في ٢٠-٠٩-١٨٢٠م: "لا أستطيع أن أقول هنا شيئًا آخر سوى أنني أحاول الاحتماء بالإسلام"[٢].

وعندما انتشرت الكوليرا عام ١٨٣١ وتوفي كثير من الناس عزَّى جوته السيدة لويزا آديله شوبنهاور Louise Adele Schopenhauer في ١٩-٠٩-١٨٣١م برسالةٍ جاء فيها: "هنا لا يستطيع أي أحد تقديم النصح للآخر؛ فعلى كل واحدٍ أن يقرّر بنفسه. إننا جميعًا نعيش في الإسلام، بغض النظر عن الأسلوب الذي نختاره لتشجيع أنفسنا"[٣].

وفي ٢٢-١٢-١٨٢٠م كتب جوته رسالة إلى صديقه فيليمير Willemer يشكره فيها على كتاب حِكَمٍ قدّمهُ له، وقال فيها: "صحيح... مع كل نظرة دينية معقولة وإسلام يجب علينا أن نعترف به عاجلًا أم آجلا"[٤]. وكمشاركٍ في الحرب ضد فرنسا، قال جوته في ٧ تشرين أول ١٧٩٢ إن الإيمان بقضاء الله وقدره يجد أدقّ تعبير عنه في الإسلام: "إن الدين المحمدي يقدم أفضل دليل على ذلك"[٥].

---

١ WA IV 27, 123
٢ WA IV 33, 240
٣ WA IV 49, 87
٤ WA IV 34, 50
٥ WA I 33, 123

وحسب التقرير الذي أورده Eckermann حول حديث أجراه مع جوته (١١-٠٤-١٨٢٧) فإن الأخير قال أن أسلوب التربية عند المسلمين يدفعهم إلى مواجهة التناقضات في الوجود، وبالتالي إلى معرفة الشك، الذي يتحول بعد تفحص الأمر إلى يقين في نهاية المطاف، واختتم جوته الحديث بقوله: "أنظر كيف أن هذه التعاليم لا ينقصها أي شيء، وكيف أننا مع كافة أنظمتنا لم نحرز تقدما، وأنه لن يفلح أي أحد... إن ذلك النظام الفلسفي عند المحمديين يمثل مقياسا رائعا يستطيع المرء أن يطبقه على نفسه وعلى غيره، حتى يعرف المرء مستواه الحقيقي من الفضيلة الروحانية".

وحول أمور ينبغي على المرء أن يشغل نفسه بها، قال جوته في كتابه Maximen und Reflexionen: "إن أعظم سعادة بالنسبة للإنسان المفكر هي قيامه باستكشاف ما يمكن استكشافه، وتبجيله لِما لا يمكن استكشافه". وفي ذلك إشارة إلى أن المسلم لا يسأل عن أشياء لا يستطيع البشر أن يعرفوها.

وحول وحدانية الله قال جوته: "إن الإيمان بالله الواحد يؤدي دائمًا إلى رفع الروحانيات لأنه يرشد الإنسان إلى الوحدة في داخل نفسه"[١].

ويتحدث جوته عن الفرق بين النبي والشاعر، ويؤكد على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم: "إنه نبي وليس بشاعر. ولذلك يجب أن يُعتبر قرآنه قانونًا إلهيًا وليس كتابًا بشريًا وُضع للتعليم أو التسلية"[٢].

الحُكْم

بعد فحص البراهين المبينة أعلاه، والإطلاع على المراجع الأصلية في مصنفات صَديقَيْه المقرّبَيْن Thomas Carlyle و Schiller، بالإمكان التوصل إلى نتيجة واضحة بدون أي لبس أو شك.

إن محتويات مصنفاته العلمية كافة، وخاصة Zur Morphologie تشير إلى الدعوة مدى حياته إلى نظرة تقول أن الكون مخلوق من لدن ذات إلهية وأن الخالق لا يرتبط بأي وجه مع مخلوقاته[١].

١ ملاحظات وملحقات للديوان الشرقي لمؤلفه الغربي، فصل محمود الغزنوي- WA I 7, 42.

٢ ملاحظات وملحقات للديوان الشرقي لمؤلفه الغربي- WA I 7, 32.

ورَغم أنه أمضى عمره في بلاد الكفار، فإنه تبنّى وصرّح من صميم قلبه عن التزامه بالشهادتين، وأقرَّ بأنه لا إله إلا الله، الواحد، وأن رسوله وخاتم المرسلين هو محمد صلى الله عليه وسلم.

وبدون أن يتلقى تعاليم حول الصلاة والزكاة والصوم والحج[٢]، فإنه مع ذلك اغتنم وباعتزاز الفرصة النادرة لحضور صلاة جمعة. وبهذا كله يتضحُ أنه اعتَبَرَ الإسلامَ دينَه الخاص.

ومعلومٌ من الأحاديث الشهيرة والثابتة العديدة في مسلم والبخاري وكتب السنن، أن الإيمان بالله وبرسوله هو الباب المؤدّي إلى الإسلام بلا ريب، وهو مفتاح الجنة.

وعلى ذلك فبالإمكان الإقرار بوضوح بأن أعظم شعراء أوروبا ومجد اللغة الألمانية وحياتها الفكرية، كان في الوقت ذاته أول مسلم في أوروبا الحديثة؛ حيث أيقظ في قلوب الناس الشوق نحو معرفة الله ورسوله، تلك المعرفة التي رقدت في سُبات عميق منذ أن خيّمَ الظلام على إسبانيا الإسلامية.

وفي ضوء إقراره الأكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم، ينبغي أن يُعرف بين المسلمين من الآن فصاعدًا بـ "محمد يوهان فولفغانغ فون جوته Muhammad Johann Wolfgang von Goethe".

الشيخ عبد القادر المرابط

بتفويض من أمير جماعة المسلمين في فايْمار

الحاج أبو بكر ريغر Abu Bakr Rieger

فايْمار في ١٩ كانون أول ١٩٩٥م

[انتهت ترجمة الفتوى]

---

١ لقد عُرف عن جوته تأثره بمذهب وحدة الوجود. ولعل الشيخ عبد القادر المرابط لم يعثر على ما يشير إلى ذلك. ولربما تراجع جوته عنه لاحقًا، والله أعلم.

٢ ربما تلقى تعاليم كثيرة حول الإسلام، لكنه أعرض عن الإلتزام بها. فلا شك أنه عرف بتحريم الخمر مثلا، ومن ذلك قوله في كتاب الساقي في الديوان الشرقي: "الخمر محرمة بلا ريب، فإذا كان لا بد من شربها فلا تشربها إلا صرفا، فإنك إن عاقرتها ممزوجة كنت مضاعف الإثم"!!!. وقال أيضا: "من كان منكم غير قادر على الشرب فليس يصح له حب"!!! أنظر عبد الرحمن صدقي، ١٢٩. ومع ذلك فإن شرب الخمر لا يخرج من الملة. لكن كثيرًا من المجتهدين عدوا ترك الصلاة مخرجًا من الملة.

تعليقاتُ بعضِ فُقهاءِ بَيتِ المَقدسِ على الفتوى

للوقوف على ما يراهُ فقهاءُ بيت المقدس توجّهْتُ- عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م- إلى ثلاثةٍ منهم بالسؤال طالبًا تعليقهم على فتوى الشيخ عبد القادر المرابط المذكورة، وفيما يأتي ردودُهم:

١)الشيخ عكرمة صبري

كتب سماحة الشيخ الدكتور عكرمة بن سعيد صبري، مفتي القدس الشريف والديار الفلسطينية إذّاك، ردًّا على السؤال، ما نصُّه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: الأخ السائل الكريم بشير بركات- القدس، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بالإشارة إلى سؤالك المثبت أعلاه والمؤرخ في ١٩٩٨/٦/١م، وبالإشارة إلى النشرة المرفقة والتي تعتبر جزءًا من السؤال أجيبُ بما هو آت:

إن مَكمَنَ الإيمان هو القلب. وإن اللسان والقلم يترجمان ما في القلب. وإن المُتتبعَ لِما كتبه الشاعر الألماني چوته يلمس الأمور الآتية:

١- التركيز على توحيد الخالق، وعدم إقراره بالإشراك والشرك.
٢- بُغضه الشديد لموضوع صلب عيسى عليه السلام أي أنه لا يقر فكرة الصلب.
٣- إقراره بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام وإعجابه به وتقديره له.
٤- إقراره بنبوة سائر الأنبياء والمرسلين كإبراهيم وداود وموسى وعيسى عليهم السلام.
٥- إعجابه بالقرآن الكريم وتأثّره به.
٦- إقباله على دراسة اللغة العربية وحبّه لها وافتتانه بها.

وبالرغم من أنه لم يُعلِن اعتناقَه للإسلام بشكلٍ علني ورسمي، إلا أن تركيزه على هذه الأمور من خلال شِعره وكتاباته تجعل منه مسلمًا مؤمنًا. وأثني على الفتوى الصادرة بتاريخ ١٩ كانون أول ١٩٩٥م عن الشيخ عبد القادر المرابط، والتي تتضمن حول الاعتراف بچوته كمسلم، ولنا الظاهر، والله سبحانه وتعالى يتولى السرائر، وهو أعلم بالنيات

والصواب. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. حُرِّرَ بتاريخ ٢٧ صفر الخير ١٤١٩ الموافق ٢١ حزيران ١٩٩٨، القدس".

٢) الشيخ حسام الدين عفانة

وأجاب فضيلة الشيخ الدكتور حسام الدين موسى عفانة، المحاضر بجامعة القدس والاختصاصي بالفقه الإسلامي، بما نصّه:

"الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فقد اطلعتُ على فتوى حول الإعتراف بالشاعر الألماني چوته كمسلم كتبها الشيخ عبد القادر المرابط. وبعد التدقيق فيها وجدت أن الشيخ قد ذكر حسب المصادر التي رجع إليها أن الشاعر الألماني چوته كان يعترف ويقرّ بالله الواحد الأحد ويقرّ بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبنبوة عيسى عليه السلام، وأنه كان يبغض الصليب ويؤمن بالقرآن الكريم، ويؤمن بالقضاء والقدر، ويقرّ ويعترف بأنه مسلم. وبناء على ذلك أرى أن ما توصل إليه الشيخ المذكور من اعتبار چوته مسلمًا صحيح. وأنه مسلم إن كان واقعه مطابقًا لما ذكر، حيث أن إسلام المرء يثبت بإقراره ونطقه بالشهادتين وبقية أركان الإسلام. والله أعلم. كتبه د. حسام الدين موسى عفانة بتاريخ ٢٩ ذو القعدة ١٤١٨هـ وفق ٢٧ آذار ١٩٩٨م".

٣) الشيخ محمد الشويكي

أما فضيلة الشيخ محمد رشدي الشويكي نزيل القدس، والاختصاصي بالفقه الإسلامي، فقد اتخذَ موقِفًا حذِرًا من الفتوى المذكورة بعد اطلاعه على ترجمتها، حيث قال:

"من المعروف عند علماء المسلمين أن من يريد أن يدخل في الإسلام يلزمه مع الشهادتين نبذ كلّ دِين آخَر، وعدم الأخذ منه. وبالنسبة لي لا أستطيع أن أحكم على شخص لمجرد أنه امتدح القرآن أو النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مسلم ما لم يشهد الشهادتين ويترك غير الإسلام من الديانات، ولو رأيته يصلي أو يقوم بحركات الصلاة مع المسلمين، ويبدو أنها مرّة واحدة كما ذكر. وهناك فئة من النصارى تقول بأن عيسى

نبي الله وليس ابنًا له، وتقول بأنه لم يصلب ولم يقتل وغير ذلك، وهم شهود يهوا. فلا يعني ذلك أنهم مسلمون لمجرد أنهم وافقوا القرآن في بعضه".

وحول قول چوته "زعيم الخلائق محمد"، علَّقَ الشويكيُّ قائلًا: "حال چوته كحال من صنّفهُ في العظماء". وأضاف أن چوته "لم يصرح صراحة باعترافه بالنبي صلى الله عليه وسلم... ولا بأن الإسلام دينه". وحول توحيد الله قال الشويكي: "الإيمان بالله الواحد موجود عند اليهود حاليًّا كذلك". واختتم الشويكي تعليقه قائلًا: "وأخيرًا، ’من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها‘، فإن كان مسلمًا حقًّا، فقد فاز، وإن كان غير ذلك فقد حصل على ثناء الناس عليه".

تولستوي والإسلام

نبيّنُ في هذا الفصل موقف الفيلسوف والروائي والمصلح الاجتماعي الروسي ليون تولستوي[1] من الإسلام ومن رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وامتعاضه من الانحلال الخلقي في أوروبا خلال القرن التاسع عشر.

لقد تلقّى تولستوي علومَه في جامعة قازان عاصمة جمهورية تتاريا المسلمة الخاضعة للحكم الروسي منذ قرونٍ عدّة. ويبدو أن إقامتَهُ بين المسلمين فيها قد تركتْ أثرًا على فِكرِهِ ونظرتِه إلى الحياة الدنيا، حيث مال إلى الزهد والتقشف والدعوة إلى العِفّة والرأفة بالضعفاء.

لكن غالبية من ترجموا له في العصر الحديث لم يتطرقوا من قريب أو بعيد إلى موقفه من الدين الإسلامي ومن رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، ولا إلى امتعاضه من الانحلال الخلقي في الغرب خلال القرن التاسع عشر.

ولدراسةِ هذا الأمر لا بدَّ للباحثِ من الغوص في المطبوعات التي صدرتْ في عهدِه، والتي لم تطبعْ مرّة أخرى لعدم اكتراث الناشرين بها... أو قُلْ لتفادي الحرج إزاء المواقف الجريئة التي صدرت عن هذا المفكِّر النزيه، والتي لم يكن حُكّام روسيا الشيوعية ليعيدوا طباعة أي شيء منها.

صحيحٌ أن تولستوي لم يعتنق دين الإسلام، لكنّه وَصفَ محمدًا صلى الله عليه وسلم بعبارات يسوء كثيرين من أبناءِ جِلدَتِنا المُتفرْنجين الذين يعتنون برواياتِه فحسب، أن يسمعوها.

وليس هذا الأمر ببعيدٍ عن أيِّ مفكِّر منصف، فما بالك بتولستوي نصير الضعفاء والفقراء في روسيا القيصرية الاقطاعية. فمثل هذا المفكر يقول رأيه ولا يبالي.

---

١ ينتمي تولستوي (١٨٢٨-١٩١٠) إلى أسرة عريقة ثرية ألمانية الأصل. أشهر مؤلفاته رواية "الحرب والسلام"، طُرد من الكنيسة في أواخر عمره. أنظر ترجمته في المقتطف، مجلد ٣٧، ج٦، ص ١٢٢٣؛ وفي الموسوعة الأميركية: The National Encyclopedia, 19:46.

وكان تولستوي قد ترجم إلى الروسية عشرات من الأحاديث النبوية الشريفة بهدف تنبيه الروس إلى رُقي الشريعة المحمدية وعظمتها، ونشر كتابًا بعنوان "حِكم النبي محمد"[1] والذي ترجَمَهُ سليم قبعين[2] إلى العربية، وسننقل عباراتٍ موجزةً منه توضح موقفه من الإسلام.

رأيُهُ في النبي الكريم والشريعة الإسلامية

بعد أنْ درس تولستوي السيرة النبوية توصّلَ إلى أن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يكن كاذبًا بأي حال من الأحوال، لكنه خرج بنتيجة أخرى لم تسْعِفه في سَعيه نحو الحقيقة التامة، فقال:

"إن محمدًا هو مؤسّسُ ورسول الديانة الإسلامية. وقد كان العرب المعاصرون له يعبدون أربابًا كثيرة ويبالغون في التقرّب إليها واسترضائها، فأقاموا لها أنواع التعبد وقدّموا لها الضحايا المختلفة، ومنها الضحايا البشرية. ومع تقدُّم محمد في السِّن كان اعتقاده يزداد بفساد تلك الأرباب، وأن ديانة قومه ديانة كاذبة وأن هناك إله واحد حقيقي لجميع الشعوب. وقد ازداد هذا الاعتقاد في نفس محمد، حتى عزم على أن يدعو أمّته ومواطنيه إلى الإيمان باعتقاده الراسخ في فؤاده. ودفعه وازع داخلي إلى أن الله اصطفاه لإرشاد أمته، وأنه عهد إليه بهدم ديانتهم الكاذبة وإنارة أبصارهم بنور الحق، فأخذ بناء على ذلك العهد ينادي باسم الواحد الأحد بحسب ما أوحي إليه وبمقتضى إعتقاده الراسخ."

ولخَّصَ تولستوي روحَ الديانة الإسلامية، حسب فهمه، فقال:

"وخلاصة هذه الديانة التي نادى بها محمد هي أن الله واحد لا إله إلا هو. ولذلك لا تجوز عبادة أرباب كثيرة، وأن الله رحيم عادل، وأن مصير الإنسان النهائي متوقف على الإنسان نفسه، فإذا سار حسب شريعة الله والتزم بأوامره واجتنب نواهيه، فإنه يؤجر في الحياة الأخرى أجرًا حسنا، وإذا خالف شريعة الله وسار على هواه فإنه يعاقب في الحياة الأخرى عقابًا شديدا، وأن كل شيء في هذه الدنيا فان زائل، ولا يبقى إلا الله ذو الجلال،

---

١ يبدو أن تولستوي صنفه عام ١٩٠٢.

٢ ولد في الناصرة عام ١٨٧٠، وتخرج من دار المعلمين الروسية. هاجر إلى مصر. ألف وترجم وأصدر العديد من الكتب والمجلات. توفي في القاهرة ١٩٥١م.

وأنـه بـدون الإيمـان بـالله وإتمـام وصـاياه لا يمكـن أن تكـون هنـاك حيـاة حقيقية، وأن الله تعالى يأمر بمحبتـه ومحبـة النـاس بعضـهم بعضـا، ومحبـة الله تكـون فـي الصـلاة ومحبـة القريـب تقـوم فـي مشـاركته فـي السـراء والضراء ومساعدته والصفح عن زلاتـه، وأن الـذين يؤمنـون بـالله واليـوم الآخر يجب عليهم أن يبذلوا وسعهم لإبعاد كل ما من شأنه إثـارة الشـهوات النفسانية، والإبتعاد أيضا عن الملذات الأرضـية، وأنـه يتحتم علـيهم أن لا يخـدموا الجسـد وأن لا يعبـدوه، بـل يجـب علـيهم أن يخـدموا الـروح، وأن يزهدوا في الطعام والشراب، وأنه محرَّم عليهم استعمال الأشربة الروحية المهيجة، ويجب عليهم العمل والجدّ، ومـا شـابه ذلك. ولـم يقل محمد عن نفسه أنه نبي الله الوحيد، بل اعتقد أيضًا بنبوة موسى والمسيح، وقال إنه لا يجوز إكراه اليهود والنصارى على ترك دينهم، بل يجب عليهم أن يتمموا وصايا أنبيائهم."

وحول سرعة انتشار الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية، قال:

"وخـلال سـنوات دعـوة محمـد الأولـى احتمَـلَ كثيـرًا مـن اضـطهاد أصحاب الديانة القديمة، شأن كلِّ نبيٍّ قبْله نادى أمّته إلى الحق. ولكن هذا الاضطهاد لم يُثْنِ عزْمه، بل إنه ثابر على دعوة أمّته. وقد امتاز المؤمنون كثيرًا عن غيرهم من العرب بتواضعهم وزهدهم في الدنيا وحب العمل والقناعـة. وقـد بـذلوا جهـدهم لمسـاعدة إخـوانهم فـي الإيمـان عنـد حلـول المصائب بهم. ولم يَمْض على جماعة المؤمنين زمنٌ طويل حتى أصبح الناسُ المحيطون بهم يحترمونهم احتراماً عظيماً ويُعظِّمون قدْرهم، وغدا عددُ المؤمنين يتزايد يوماً بعد يوم".

لكن تولستوي لم يُحطْ بالسيرة النبويـة الشـريف إلـى حدٍّ يحـول بينـه وبين سوء الفهم، حيث ظنَّ أن الصحابة كان لهم شأن في سن التشريعات الالهية، فقال:

"غير أن ذوي الغيرة من أنصار النبـي كـانوا ينظـرون إلـى الـوثنيين المحيطين بهم وإلى فسادهم بعَيْن الغضب والاستياء، فدفعتهم غيرتُهم على الحق إلى حمل النبـي علـى إرغـام النـاس بـالقوة علـى اعتنـاق الإسـلام والاعتراف بوحدانية الله. ومع أن هؤلاء الأنصـار لـم يبيحـوا سفك الـدماء للحصول على الأموال أو غيرهـا من متـاع الدنيا، ولكنهم أبـاحوا الحـرب في سبيل الإيمان زاعمين أنهم يُرضـون الله بإدخـال النـاس فـي دينـه القويم

بالقوة، أولئك الناس الذين أصروا على البقاء في الضلال ولم يقتنعوا بدعوة النبي".

ثم انتقل تولستوي إلى الحديث عن سرعة انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، وعن سُمُوّ أخلاق الفاتحين، فقال:

"إنَّ نشْرَ الإسلامِ بطريق القوة لم يَلْقَ قبولًا لدى البوذيين والمسيحيين المشهورين بالوداعة. ومع ذلك فإن المسلمين اشتهروا في صدر الإسلام بالزهد في الدنيا الباطلة وطهارة السيرة والاستقامة والنزاهة، حتى أدهَشوا المحيطين بهم بما هم عليه من كرم الأخلاق ولين العريكة والود. ومن فضائل الدين الإسلامي أنه أوصى خيرًا بالمسيحيين واليهود، ولا سيما القساوسة الأولين. فقد أمر بحسن معاملتهم ومؤازرتهم، حتى أباح هذا الدين لأتباعه بالزواج من المسيحيات واليهوديات، مع السماح لهن بالبقاء على دينهن. ولا يخفى على أصحاب البصائر النيرة ما في هذا من التساهل العظيم ومما لا ريب فيه أن النبي محمدًا من أعظم الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع خدمة جليلة. ويكفيه فخرًا أنه هدى أمّةً برُمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسكينة والسلام وتفضل عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية. وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة. ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والاكرام"[١].

انتقادُهُ اللاذعُ للنظام الاجتماعي الغربي

وحول امتعاضه من تدهور الاخلاق وانحلال الأسرة وكثرة الطلاق في الغرب اشتكى قائلا:

"إن السببَ في مسألة الطلاق التي تشغل الآن الرأي العام في أوروبا هو التمدن الذي لم يقتبس الإنسان منه سوى الحمق والخلاعة. هذا هو السبب الحقيقي في ازدياد حالات الطلاق يومًا بعد يوم. فلا يمضي على زواج امرأة برَجلٍ ردحٌ من الزمن حتى تقول له: حاذر أن أتركك وأمضي إلى حال سبيلي. سرى ذلك من الربوع العالية في المدن إلى أكواخ الفلاحين. فالفَلّاحة تقول لزوجها: خذ قمصانك و سراويلك لأني

١ تولستوي، حِكم النبي محمد، ص ٥-٨.

تاركتك وذاهبة مع حبيبي يوسف الذي يفوقك حُسنًا وبهاء. هذا لأنّ المرأةَ خلعتْ ثياب الحشمة واحترام الزوج وخرجت من دائرة الخضوع له.

"على الرجل أن يكدّ ويشتغل، وما على المرأة إلا أن تقيم في البيت لأنها زوجة، أو بعبارة أخرى: لأنها إناء لطيف سريع الانثلام والانكسار. على الرجل أن يراقب سلوك امرأته ولا يطلق لها العنان، بل يحفظها داخل البيت. فالبيت هو مجال الحرية الواسعة للمرأة.

"لقد أصبح الزواج عندنا في هذا العصر محض خداع وغش. ولكنه لا يزال سليمًا عند أولئك الذين يَرَون فيه سرًّا من أسرار الدين، كالمسلمين والصينيين والهنود. أما نحن فلا نرى فيه غير تلك المقارنة الحيوانية. فالزوجان يخادعان الناس بأنهما يعيشان معًا في ارتباط عائلي حقيقي بالزواج. يظهر أمرهما كذلك خارج البيت لكل من رآهما، ويبدو أنهما سيبقيان في وئام ووفاق ما دامت الحياة. والحقيقة أنهما يعيشان على قاعدة تعدُّد الزوجات. إن أخلاق الشاب تفسد في المدرسة لأن جميع رفاقه، فسَدَة الأخلاق، يصحبونه معهم إلى أندية الرجس فيفقد طهارته وعِفَّته من حيث لا يدري أن في هذا ما يخالف الآداب والفضيلة. تفسد أخلاق الشاب من أول نشأته، لأنه لا يسمع من مرشديه أن الفسوق محرَّم، بل على العكس يسمع أن صحة الجسم تستلزم ذلك الشيء، وجميع المحيطين به يقولون أن الجِماع شيء طبيعي قانوني مفيد للصحة ولفكاهة الشباب الحلوة. لهذا كله لا يدرك الشاب أنه سائر في طريق الضلال، فهو يمضي في الطريق الطبيعية التي يسير فيها صحبه وأفراد الوسط الذي يعيش فيه. فيبدأ بالفحشاء وبشرب المسكِر والتدخين. بقي على الشاب أمر واحد يخشى عاقبته من ارتكاب الموبقات، وهو العدوى من المرض المشهور، غير أن الحكومة التي تهتمُّ بصحة رعاياها لم تدع مجالًا للخوف، فإنها بهمّة فائقة تعتني اعتناءً تامًّا بالمواخير! إننا لو أمعنّا النظر في معيشة الطبقات العليا بما هي عليه من قلة الحياء والخلاعة، فلن نجد ثمة فرقا بين البيت الذي يأويهن ونادي مومسات مختلط. قارنوا أيها الناس بين المومسات وبين نساء الطبقات العليا، فستجدوهنّ متّفقات في الهيئات والأزياء والروائح العطرية وتعرية السواعد والمناكب والصدور. وكما أن المومسات

يستعملن كل الوسائط الفعالة لغواية الشبان وجذبهم واستمالة النفوس حتى يصبو لهن كل راء، كذلك نساء الطبقات العالية يفعلن في وسطهن"[1].

١ تولستوي، حِكم النبي محمد، ص ١٣-١٨، بتصرف، حيث تُرجم بلغة ركيكة.

مواقِفُ غربيةٌ مُعاصِرة

مقارنةً بما صَدَرَ عن چوته وتولستوي نُلقي في هذا الفصل نظرةً على مواقف سلبية صدرتْ عن بعض المستشرقين والباحثين الغربيين المعاصرين من الإسلام، والتي لا تخدمُ الحقَّ أو ما يسمّونَه بالنظام العالمي الجديد بأيّ حال، بل إنّها تؤجّجُ الصراع بين الحضارات وتبثّ الحِقدَ والكراهية بين الشعوب.

ولا يخفى أن الهدف من الدراسات المستفيضة التي يجريها جُلُّهم حول الإسلام في العصور الوسطى والحديثة هو التوصّل إلى فَهمٍ جذريٍّ لحاضر العالم الإسلامي، حيث أن حاضر الأمّة يُعدُّ امتدادًا لماضيها. وكذلك فإن معرفة واقع الأمّة يساعدهم على التنبؤ بمستقبلها، وبالتالي فإنّ أرباب السلطة وأصحاب القرار يستفيدون من تلك الدراسات في التخطيط لسياساتهم المستقبلية تجاه العالم الاسلامي.

ولذلك تراهم يبحثون في تفاصيل واقعنا السياسي والاجتماعي بدقّة تدفعنا نحن أحيانًا إلى الاستعانة بتلك الدراسات والمؤلّفات من أجْلِ فَهمِ واقعنا. قد يبدو ذلك غريبًا، ولكنه حقيقة واقعة.

تحليلاتُهم

إنهم يحللون الواقعَ ويخطِّطون للمستقبل على أساسٍ أن حضارتهم التي تفوق- في نظرهم- الحضارات كافّة التي ظهرتْ منذ آدم عليه السلام ستواصل سيادتها على العالم كله في المستقبل البعيد. إنهم يشاءون ويخططون، ولكنهم يجهلون أن الله فعّال لما يريد، وأنه خلقنا شعوبًا وقبائل متباينة في لغاتها وطبائعها وأديانها لحِكمَة أرداها جلّ شأنه.

وتُذكِّرُنا تحليلاتُهم تلك بما كَتَبَهُ الأمير عادل أرسلان حول استعلاء الغرب على الشعوب الأخرى في مذكراته يوم ١٩٣٥/١٠/٢م، حيث دوَّن عبارةً يسوء كثيرين من المستغربين بيننا سماعها في هذا العصر، ألا وهي:

"كرَّر الغربيون تغنيهم بالمدنية الغربية حتى صاروا يعتقدون أنها حقيقة وأنها مقدسة وأنها سعادة للبشر جميعًا. هم يحلِّلون كلّ شيء، حتى بَوْلَ الكلاب لمَعرفة ما فيه، لكنهم لا يحلِّلون هذه المدنية، في حين أن سيئاتها ظاهرةً كغيرها من المدنيات التي سبقتها. لا شكّ في أن المدنية الحاضرة قد جاءت ببدائع كثيرة وبفوائد كثيرة، ولكنها ما زالت وحشية، لأن الأوروبي ما برح يعتقد أن الشعوب الضعيفة لا حقَّ لها في الحياة الحرة، وأن مِن حَقِّ الأوروبيين أن يتنعموا بثروات الدنيا كلها. فلا بأس في نظرِهِ بقَتْلِ مليون آسيوي أو إفريقي في سبيل فتح بلاد في آسيا أو إفريقيا للاستعمار الأوروبي. هو لا يهمُّهُ سوى أن يكون ذا ثروة كبيرة، فإن أرادتْ زوجتُه أن يكون لها في كل يوم سيارة ولم يكن ذلك في استطاعته إلا إذا ذَبحَ مئة ألف شرقي دِفاعًا عن استقلالهم، فهو لا يُقبِّح ذَبحَهم"[1].

طمسُ الحضاراتِ وتشويهُ صورتها

وفي إطار سعيهما نحو طمسِ الحضارات التي تأبى أن تذوب في بوتقة الغرب، كتب الباحثان الأمريكيان ماكس ميليكان ودونالد بلاكمير عام ١٩٦١م حول دعمِ جهود نُخبة المفكرين المستغربين في الدول الحديثة التي اصطنعها الاستعمار الغربي لنفسه في العالم الثالث ورسم حدودها، فقالا:

"غالبًا ما تكون مشكلتهم الأولى عند ظهورهم هي التغلب على نخبة المفكرين المُقدَّسين[2]، والذين كانوا في العادة يقومون بمعظم مهام التشريع والقضاء، والتعليم والإرشاد، والمعالجة والمساعدة، والكهانة والتصديق؛ تلك المهمات التي تَسعى نخبةُ المفكرين العلمانيين إلى تولّيها حاليًّا. وإن رجال العِلم والحداثة الجُدد لَيَكتَسِبون المزيدَ من القوة في المجتمعات التي تتَّجِهُ نحو تقسيمٍ حديث للعمل، والتي يتزايد فيها التمدن والتصنيع والمشاركة. ولكن هناك إحباطات متواصلة، فالمحامي يمتعضُ عندما يجدُ

---

١ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ١: ١٠٨.
٢ المقصود هم علماء الشريعة.

مَيْلًا لدى الناس نحو القضاء الشرعي، والمُعلِّمُ يمتعضُ عندما يجد مَيلًا لدى الناس نحو التعليم الشرعي"[1].

وعلَّق الباحثان آمالهما على وسائل الإعلام الحديثة فقالا:

"إن وسائل الإعلام التي تحمل أخبار العالم ومشاهده إلى الأمّيين في الأحياء الفقيرة والقرى النائية، تقدم عنصرًا جديدًا في عملية التحديث. فالشعب بدأ يتعرَّف لأول مرة على العالم البعيد عن بيئته المحدودة. ونذكر هنا عبارة ناصر[2]:

'لقد غيَّر الراديو كل شيء. ولم يعد بإمكان القادة أن يحكموا كما كانوا يفعلون من قبل. إننا نعيش في عالم جديد'[3].

فهل أخذَ هذان الباحثان في الحسبان أن وسائل الإعلام المعاصرة ستلعب دورًا رئيسًا في الدعوة إلى الاسلام وفي دخول آلاف الغربيين فيه؟

ومن بين البرامج الإعلامية الغربية التي تُسيء إلى الحوار بين الحضارات ذلك البرنامج الذي بثته قناة BBC التلفزيونية البريطانية في ٢٠٠٠/١/٢٤م بعنوان "القرآن والكلاشنيكوف"، والذي يؤجِّجُ البغضاءَ بين الشعوب ويزرع الحِقدَ في النفوس. وقد علّقَ غياثُ الدين صديقي رئيس البرلمان الإسلامي في بريطانيا عليه، قائلًا: "إن اسم البرنامج، وهو يربط القرآن والكلاشنيكوف كأداةِ قَتلٍ ودمار، يثير حساسية المسلمين في بريطانيا"[4].

مسيحيون يدافعون عن الإسلام

شنَّ في الولايات المتحدة الأميركية المدعو بات روبرتسون، زعيمُ حركة جناح اليمين المسيحي المتطرف، حملةً بشعةً ضدَّ الإسلام. وكان

1 The Emerging Nations, p. 35.

٢ يقصد الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر.

3 The Emerging nations, p. 40.

٤ صحيفة القدس، ٢٠٠٠/١/٢٥.

مما قاله يومًا في برنامجه التلفزيوني (النـادي ٧٠٠) حول اعتنـاق بعض الأمريكيين للإسلام:[١]

"أنْ تـرى الأمـريكيين وهـم يصـبحون أتباعًـا للإسـلام لهُوَ نـوعٌ مـن الجنون، فالشعوب الإسلامية والعرب هم الذين أسروا الإفريقيين وجعلوا مـنهم عبيـدًا، ثـم أرسـلوهم إلــى أميركـا. فلمـاذا يَسـعى بعـض الأمـريكيين لاعتناق ديانة المستعبِدين؟ أنـت تقول: مـا الذي يجري فـي أمريكـا عنـدما نرحِّبُ بأناس في مجتمعنا ونمنحهم حقوقًا فـي حين أنّهم هم أنفسهم الذين اضطهدوا المسيحيين فـي مختلف أنحـاء العـالم. لقد حـان الوقت لمواجهـة ذلك كله".

ويقول جيمس زغبي، رئيسُ المعهد العربـي الأمريكـي: "الكثيـر مـن المسيحيين والمسلمين واليهود كتبوا إلى روبرتسون مستنكرين تصريحاته ومطـالبين باعتـذاره إلـى المسـلمين خصوصًـا وجميـع الأمـريكيين عمومًـا. غير أنه أكّدَ على عدم تسامُحِه وعلى تعصُّبِه الأعمـى ضـد الإسـلام. حيث كتب يقول: أقول الآن أن كل أمريكي يعتنق الإسلام ليس إلا مجنونًا، وهذا ليس تعصبًا بل حقيقة تستند إلى عمل أولئك الذين يعتنقون الإسلام في كل العالم".

ويضيف زغبي: "إن ما يعرفه أتباع روبرتسون وحلفاؤه لـيس فكـره الديني، وإنمـا السياسـات التـي تنبثق عن تفكيره الـديني، والتـي تقول بـأن العرب والمسلمين هم أعداء إسرائيل وأنهم غير جديرين بالثقة. وعليه فإن السلام غير مرغوب والحرب واقعة لا محالـة، وأنهـا ستقود إلـى المعركـة النهائية المأمولة. ويبث (النادي ٧٠٠) دعاية مناهضة للعرب باستمرار".

وحـول حملــة الكاتــب الترينــدادي "نيبــول" ضــدَّ الإســلام قــال البروفيسور إدوارد سعيد[٢]:

"يستمرُّ في الولايات المتحدة وأوروبا ذلك الهوُس العدائي الغريب للإسلام. وفي الآونة الأخيرة أصدر الكاتب الترينـدادي الأصـل البريطـاني الجنسية حاليًّا "في. إس. نيبول" مؤلّفًا ضخمًا عن رحلاتـه إلـى أربـعٍ مـن

١ عن صحيفة "القدس"، ١٩٩٨/١٢/٢٨.
٢ صحيفة "القدس"، ١٩٩٨/٠٩/٠٥.

دول العالم الإسلامي، كلها غير عربية، وعَنْوَن الكتاب "ما بعد الإيمان: رحلات إسلامية بين الشعوب المعتنقة". وهو يشكل متابعة لكتابه "بين المؤمنين: رحلة إسلامية" الذي أصدره قبل ١٨ سنة عن زيارة قام بها آنذاك للدول نفسها.

"اهتمت كبرياتُ الصحف الأميركية والبريطانية بمراجعة الكتاب والإشادة به كعمل من أستاذ عظيم في فنِّ الملاحظة الدقيقة والتفصيل المُعبّر، يلبي في شكل خاص ذلك النهم العميق لدى القارئ الغربي لتعرية وفضح الإسلام. وإذ لا يمكن لأحد اليوم أن يؤلف كتابًا مشابهًا عن المسيحية أو اليهودية، فإن الإسلام لا يزال يعتبر "صيدًا حلالًا"، مهما كان تواضع معلومات "الخبير" المفترضة عن الموضوع، وجهله اللغات اللازمة لتناوله.

"لكن نيبول حالة خاصة. إنه ليس من محترفي الاستشراق أو قاصدي الإثارة، بل شخص من العالم الثالث يوجِّه رسائله عن تلك المناطق إلى قراء، لنا أن نفترض أنهم من الليبراليين الغربيين المحبَطين، الذين لا يملّون سماع أسوأ ما يمكن عن أساطير ذلك العالم، أي حركات التحرر الوطني، والأهداف الثورية، وشرور الكولونيالية، وكلها في نظر نيبول ما لا يفسر الوضع المزري لدول إفريقيا وآسيا التي تغرق في بحر من الفقر والعجز وتعاني من سوء هضم أفكار غربية، مثل التصنيع والتحديث. إنهم أولئك الناس، كما يقول نيبول، الذين يعرفون استعمال الهاتف لكن ليس ابتكاره.

"ويمكن الآن في الغرب الاستشهادُ بنيبول كشخصية نموذجية من العالم الثالث. فقد وُلِد في ترينداد لعائلة هندية تنتمي إلى الطائفة الهندوسية، ونزح إلى بريطانيا في الخمسينيات وأصبح من طليعة النخبة المثقفة.. وهو يَعتبر أن الإسلام من بين المشاكل الأسوأ التي يعاني منها العالم الثالث. وقال، ربما متأثرًا بأصله الهندوسي، إن الكارثة الأعظم التي شوّهت تاريخ الهند كانت دخول الإسلام إليها. ويختلف عن غالبية المؤلفين في أنه لم يقم بزيارة واحدة بل زيارتين إلى عالم الإسلام لكي يتيقن من كرهه العميق لذلك الدين وأهله وأفكاره.

"يسأله شخص في ماليزيا: ما الغاية من كتاباتك؟ هل تريد إخبار الناس عن حقيقة الأمور؟ ويجيب: نعم، أعتقد أن هذا هو الهدف. ويعود السائل: أليس الهدف هو المال؟ الجواب: نعم، لكن طبيعة العمل مهمة. هكذا فهو يتنقل بين المسلمين ويكتب عن ذلك ويستلم مبالغ محترمة من الناشر والمجلات التي تنشر مقتطفات من كتبه، مدفوعًا بأهمية العمل وليس حبًّا له.

"المقاطع الساخرة في الكتاب الأول جاءت كلها ضد المسلمين الذين يعتبرهم قُرّاء نيبول الأميركيون والبريطانيون أجانب مضحكين، أو متشددين إرهابيين محتملين لا يستطيعون التهجي أو التفكير المنطقي أو الحوار السليم مع الغربيين رهيفي التحضر.

"هكذا فكلما كشف المسلمون نقاط ضعفهم "الإسلامية" سارع نيبول، ذلك الشاهد المُعتمَد من العالم الثالث، إلى تسجيلها وتوجيهها إلى الغرب. إن مقولة نيبول الرئيسية التي ينطلق منها لمخاطبة العالم هي: الغرب هو عالَم المعرفة والنقد والتقنية والمؤسسات الفاعلة، فيما يعاني الإسلام من الإحباط والغضب والتأخر والإتكال، ويرى أمامه قوة جديدة لا يستطيع السيطرة عليها. الغرب يقدم الخير إلى الإسلام من الخارج، ’لأن الحياة التي جاءت إلى الإسلام لم تأت من داخله‘.

"هكذا، وفي جملة واحدة، يختزل نيبول حياة بليون مسلم ويلقي بها جانبًا. وعِلّة الإسلام الأصلية كما يرى تكمن ’في بدايته، إنها العلة التي سرت في تاريخ الإسلام، وهي أنه لم يقدم حلًّا سياسيًّا أو عمليًّا للقضايا السياسية التي أثارها، وأنه لم يقدم سوى الإيمان، ولم يقدم سوى النبي الذي كان سيعطي كل الحلول، إلا أنه توفي‘. هذا الإسلام السياسي إنما هو ’الغضب والفوضى‘. إن كل الأمثلة التي يقدِّمها نيبول وكل الأشخاص الذين التقى، هم من القائلين بالنقيضة بين الإسلام والغرب، وهي النقيضة التي افترضها أصلًا وصمّم على أن يراها في كل مكان. من هنا فالكتاب الأول في النهاية مضجر مليء بالتكرار.

"لكن لماذا يعود بعد نحو عشرين عامًا ليقدِّم كتابًا ثانيًا يضارع الأول في الإطالة والإملال؟ السبب الوحيد الذي أجدُه هو أنه يعتقد أن لديه نظرة جديدة مهمة نحو الإسلام، وتتلخصُ هذه النظرة في أن الإسلام دين

العرب، وكل مسلم غير عربي فهو مجرد 'معتنق للدين'. ومن هنا فإن كل هؤلاء المعتنقين، أي الماليزيين والباكستانيين والإيرانيين والإندونسيين وغيرهم، يعانون من فقدان- أو كبت- الهوية الأصلية، أي أن الإسلام ديانة وافدة تعزلهم عن تقاليدهم وتتركهم في حال دائم من 'البين بين'.

"يقع 'ما بعد الإيمان' في ٤٠٠ صفحة، تقوم كلها على هذه النظرية الغبية والمهينة. السؤال هنا ليس عن صحة أو خطأ الفكرة، ولكن عن كيف أمكن لرجل بذكاء وموهبة نيبول تأليف كتاب على هذه الدرجة من الحمق والإملال، يكرر إلى ما لا نهاية قصصًا تعبِّر عن هذه الفكرة السقيمة، في أن غالبية المسلمين هي من الذين انقطعوا عن تاريخهم باعتناق الإسلام وحكم عليهم، تبعًا لذلك مواجهة مصير واحد متشابه. هذه النظرة تطرح جانبًا التاريخ والسياسة والفلسفة والجغرافيا، المسلمون غير العرب متحوّلون عن هويتهم وليس لهم إلا أن يعيشوا تاريخًا مزيفًا.

ويختتم إدوارد سعيد قائلًا: "إن هوسَه العدائي للإسلام أدى به في شكل ما إلى التوقف عن التفكير، أو إلى ما يشبه الإنتحار الفكري الذي يجبره على تكرار المقولة نفسها إلى ما لا نهاية. والمؤسف أن كتابه الأخير عن الإسلام سيُعتبر تقويمًا رئيسيًّا لديانة عظيمة، وسيؤدي ذلك إلى المزيد من التوسع والتعميق للهوة بينهم وبين الغرب. ولن يستفيد أحد شيئًا سوى الناشرين الذين سيبيعون الكثير من الكتب، ونيبول نفسه الذي سيحصل على الكثير من المال".

خاتمة

اطلعنا في هذا البحث على موقف جوته وتولستوي من الإسلام ورسولنا صلوات الله وسلامه عليه. فشتان ما بين ما قالاه وبين ما نسمعه اليوم من بعض أعداء الحقِّ في صفوف الحاقدين في الغرب، ومن المرجفين والمستغربين بين ظهرانينا. فعسى الله أن يلهمهم رشدهم ويجنبهم قول الزور.

على أننا لا نرى ضَيرًا في الحوار بين الحضارات بهدف نشر الدعوة، ولا في تصنيف كُتُبٍ عن الإسلام باللغات الغربية دفاعًا عن ديننا الحنيف وتبليغًا لمن أراد أن يذّكّر من بني آدم. فقد اهتدى كثيرون إلى دين الإسلام عَقِبَ قِراءةِ كتابٍ عنه بلغة غربية دون تَلَقّي دعوة شفوية إلى الدخول فيه من أبنائه.

هذا وبالله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

تم البحث بحمد الله

المراجع

المراجع العربية

١) جريدة "القدس" المقدسية.
٢) صديق شيبوب، "چوته"، سلسلة إقرأ، العدد ٣٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٥.
٣) عادل أرسلان، "مذكرات الأمير عادل أرسلان"، الدار التقدمية للنشر، بيروت، ١٩٨٣.
٤) عبد الرحمن صدقي، "الشرق والغرب في أدب چوته"، كتاب الهلال، العدد ١٩٥، القاهرة، ١٩٦٧
٥) ليون تولستوي، "حِكم النبي محمد"، تعريب سليم قبعين، ط٥، مطبعة الشمس الحديثة، القاهرة، د.ت.
٦) كاترينا مومزن ، "چوته في حوار مع العالم الاسلامي"، في مجلة "فكر وفن" الألمانية، عدد ٧٨، ٢٠٠٣/٤.
٧) مجلة "المقتطف"، القاهرة، مجلد ٣٧، ج٦، عام ١٣٢٨/ ١٩١٠.
٨) معروف الأرناؤوط، مجلة "الرسالة"، عدد ١٤، جماد الأول ١٣٥٢/ آب ١٩٣٣.
٩) يوسف سركيس، "معجم المطبوعات العربية والمعربة"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.، صورة عن ط١ الصادرة عام ١٣٣٩/١٩١٩.

Forein references:

1) Al-Murabit, Abdulqader, “Fatwa on the acceptance of Goethe as being a Muslim”, Weimar Institut, Weimar e.V., Germany, 1995.
2) Encyclopadia Britannica, Vol. 10, William Benton, Chicago, 1963.

3) Islamische Zeitung, Weimar, 5. Ausgabe, Feb. 1996, S. 1-3.
4) Millikan, M. & Blackmer, D, “The Emerging Nations”, Center for International Studies, MIT, Boston (USA), 1961.

أهمُّ إصْداراتِ المُؤلِّف

١) خُصومَةُ الشيخ يوسف النبهاني مع السلفيّين والوهابيّين والمصلحين، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٢) المُستشرقون والصحوة الإسلامية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٣) القدس الشريف في العهد العثماني، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٤) فهرس مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٥) فهرس مخطوطات الزاوية الأزبكية بالقدس، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٦) مباحث في التاريخ المقدسي الحديث: ج١ (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ج٢ (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ج٣ (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).
٧) مَدْخلٌ إلى كتابِ الإنصافِ في مَسائلِ الخِلاف، تأليف: چوتهولد فايل، تعريب: بشير عبد الغني بركات. (ط١: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م). (ط٢: ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م).
٨) شخصياتُ القدس في القرن العشرين، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
٩) تاريخ المكتبات العربية في بَيْتِ المَقْدِس، مركز الملك فيصل، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
١٠) دراساتٌ في تاريخ بَيْتِ المَقْدِس، مركز فهد الدبوس، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
١١) تأريخ موسم الحج في بَيْتِ المَقْدِس، مركز فهد الدبوس، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
١٢) تاريخ القضاء والإفتاء في بَيْتِ المَقْدِس، مركز الملك فيصل، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
١٣) تاريخ الحنابلة في بَيْتِ المَقْدِس، دار النوادر، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
١٤) تاريخ الكوارث في بَيْتِ المَقْدِس، دار المُقْتَبَس، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
١٥) تاريخ مَصادِرِ المِياهِ واسْتِخْداماتِها في بَيْتِ المَقْدِس، دار المُقْتَبَس، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
١٦) تاريخُ اعتِناقِ الإسلامِ في بَيْتِ المَقْدِس، دار المُقْتَبَس، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
١٧) الشيخُ يوسُفُ النَّبْهانيُّ والحَرَكَةُ السَّلَفِيَّة، دار المُقْتَبَس، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
١٨) نصائحُ الخُرَيشي، دراسة وتحقيق، بمشاركة يوسف الأزبكي، دار المُقْتَبَس، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

١٩) تاريخُ الخدمات الصحية في بَيْتِ المَقْدِس، دار النداء (إستانبول)، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.
٢٠) تاريخُ باب الخليل وجواره في بَيْتِ المَقْدِس، دار النداء (إستانبول)، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.
٢١) تاريخُ الصناعات في بَيْتِ المَقْدِس، دار المُقْتَبَس، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.
٢٢) سبعون عامًا في خِدْمَةِ القُدْس، مؤسسة دار الطفل العربي، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

كتب صغيرة

١) الإسلام عند چوته وتولستوي، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٢) تاريخ صناعة الملابس في القدس، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
٣) أطباء القدس في القرن العشرين، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
٤) تاريخ الطباعة في القدس، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
٥) عقود الزواج في القدس خلال العهد العثماني، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م.
٦) أسْبلةُ السلطان سليمان القانوني في القدس، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.
٧) حُقوقيّو القدس في القرن العشرين، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.

Books in Turkish:

1-Kanunî Sultan Süleyman'ın Kudüs'teki Hizmetleri, 2018.
2-Beytülmakdis'te Sağlık Hizmetleri Tarihi, 2019.
3-Kudüs el-Halil Kapısı ve Çevresinin Tarihi, 2019.